

آراء وأنباء

تعليق على بعض ما جاء في العدد الأخير

من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

الدكتور عبد الكريم اليافي

(١)

تصفّحت الجزء الأول من المجلد الثاني والستين (جمادى الأولى ١٤٠٧ - كانون الثاني ، يناير ١٩٨٧) فوقع بصري من مقالة « رسائل العلماء » على ما شكل على أمين الريحاني من معنى بيت المعري (ص ٢٣) :

جريت مع الدهر جري المطييع بين اللياحي والأرجواني
ولم أجد فيه ما يشكل إذ أراد المعري أنه جرى مع الدهر مستملاً مطيعاً
لصروفه بين الإصباح والإمساء . ذلك أن من معاني اللياح ، بفتح اللام
وكسرهما ، الصبح . فاللياحي نسبة إلى اللياح الذي هو الصبح يشرق
فيلوح بياضه على الآفاق . وكثيراً ما تنوب الصفة في الشعر عن
الموصوف . ولما ذكر اللياحي أي الصبح الأبيض ذكر مقابله الأرجواني
صفة لون المساء . ولا حاجة للتعسف بأن المعري أراد الصعاليك والملوك
أي من لبس القطن والحريز .

وتفسيرنا جارٍ مع أساليب العرب القدماء إذ استهوى أبصارهم
تعاقب الليل والنهار وتوالي الإصباح والإمساء حين يختلط النور بالظلام
ويتغلغل أحدهما في الآخر تغلغلاً ينتهي بظهور أحدهما على الآخر . قال
الأضبط بن قريع :

لكل ضيق من الأمور سعه والصبح والمسي لافلاح معه^(١)
وقال عمرو بن قبيّة (صاحب امرىء القيس في رحلته إلى قيصر ، مات
في الطريق فسمي الضائع) :
كانت قناتي لاتلين لفامز فألأنها الإصباح والإمساء^(٢)
وقال حميد بن ثور :
أرى بصري قد رابني بعد صحّة وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما
ولن يلبث العصران يسوم وليلة إذا طلبا أن يسدركا ماتيمًا^(٣)
وقال البحري في وصف إيوان كسرى :
يَتَظَنِّي مِنَ الْكَأْبِيسَةِ إِذْ يَبِيدُو لِعَيْنِي مُصْبِحٌ أَوْ مَمْسِي
ولعل كل ذلك راجع إلى التعبير القرآني البليغ : « يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل »^(٤) .
وكذلك قوله جل وعلا : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل
وقرآن الفجر »^(٥) .
وأيضاً « والضحى والليل إذا سجي »^(٦) .

(١) زهر الآداب تحقيق زكي مبارك ج ٢ ص ٢٠٤

تحقيق علي محمد البجاوي طبعة أولى ج ١ ص ٥١٦

ورواية الأغاني :

لكل هم من الهموم سعه والمسي والصبح لافلاح معه

(أخبار الأضبط دار الكتب المصرية) ج ١٨ ، ص ١٢٩

(٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠١ ، وج ١ ص ٢٢٢

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٢ ، وج ١ ص ٢٢٢

(٤) الحج ٦١ ، لقمان ٢٩ ، فاطر ١٣ ، الحديد ٦

(٥) الاسراء ٧٨

(٦) الضحى ١ ، ٢

وقد ورد التنويه باختلاف الليل والنهار في عدة آيات كريمات^(٧) وماقدمناه كافٍ في حسم بيان المراد من بيت رهين الهبسين .
 ورجعت إلى الصفحة (٢١) فاذا برسالة أخرى من أمين الريحاني يقول فيها : « تلقيت كتابك وأظنك مصيباً في قولك إن المطيع في البيت يجب أن يكون (المصنَّع) . وقرأت في الحاشية مآرته المجلة من أن « التصحيح الوارد (إن صح ماجاء في الرسالة) يكسر وزن البيت » .
 نقول إن اقتراح المصنَّع بدلاً من المطيع لاجابة إليه لأن التحقيق يلزم الحفاظ على الأصل إلا اذا منع من ذلك مانع . وقد بيَّنا معنى البيت . ولكن استبدال المصنَّع بالمطيع لا يكسر البيت خلافاً لرأي المجلة . وهذا واضح في علم العروض . وكل ما في الأمر أن العروض المحذوفة (أي التي أصابها علة الحذف) فأصبحت فَعْلُ غدت مقبوضة (أي فعولٌ) . وكتناهما لا عيب فيها .

وفي الصفحة نفسها يورد الريحاني البيتين اللذين يتلوان البيت المذكور آنفاً وهما :

كأني في العيش لـدن الفصو ن من شاء قـومني أولواني
 ولا لـون للماء فيما يقال ولكن تلـونـه بالأواني
 ويقول : « بين البيتين الأول والثالث - كما ترى - شبه وتناسب بالفكر والرمز المجازي ، ولا محل للثاني بينها . »

ونرى نحن أن التسلسل والتناسب والشبه واضح بين الأبيات الثلاثة . فالعري يؤكد في البيت الأول طواعيته لصروف الزمان فهو كالغصن الطريّ يقومه أو يلويه من يشاء . وهذه الطواعية والاستسلام

(٧) البقرة ١٦٤ ، آل عمران ١٩٠ ، يونس ٦ ، الجاثية ٥

كلاهما يحكي طواعية الماء في تلونه بالأوان التي يوضع فيها. وهنالك شيء آخر وهو أن لفظ لواني في آخر البيت الثاني استدعى في ذهن الشاعر لفظ التلون والأواني كما هي حال الشعراء ولا سيما المعري الذي يداعب الالفاظ والمعاني كما تشاء له المداعبة .

وترجمة الريحاني للبيتين إلى الانكليزية ليست صالحة لأنها لم تربط تلون الماء بالطواعية التي ينسبها المعري إلى نفسه مع الدهر . كذلك أغفلت معنى « فيما يقال » وليس هذا حشواً وإنما يفيد آفة المعري لأنه لا يرى الماء المتلون بلون الاناء وإنما يقال له ذلك .

(٢)

ولما كنت مولعاً بالتراث العربي جملته وتفصيله قرأت مقالة « كتاب الشوارد في اللغات » للدكتور أحمد خان من الجامعة الاسلامية في إسلام آباد ، وسررت أن إخواننا في خارج البلاد يهتمون اهتمامنا بالتراث العربي ويسعون لتلافي ما نقص منه ولو وريقات . ولكن وقفت عند المقدمة والورقة المفقودة التي تم تلافيتها من المخطوطة ، وعجبت كيف يتسرب الخطأ والتحريف إلى الأصل شكلاً ومعنى وتحقيقاً .

جاء في مستهل المقدمة ص ١٣٨ من المجلة « الله أحمد على نعمه التوارد وبه أستعيز من نعمه الصوارد » . وليس للتوارد المشكول فيها حرف الراء بالكسر معنى ولا مكان وإنما هي السوارد . جاء في تساج العروس « السُّردُ مقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً ، ... ونجوم سَرَد متتابعة وتسرَد الدر تتابع في النظام ... » ولا يخفى ما بين الشوارد والسوارد من التجنيس المصحف . وجاء في الصفحة (١٣٨) « وأوضحت فيه ثنيتا طرقها من

جوادها « والصحيح ثنيات بفتح الثاء .
وفي الصفحة (١٤٠) « أرض حديبة كثيرة الحمى . والحديب الحمى
بلغة كلب » والصحيح كثيرة النصي . والحديب النصي بلغة كلب . واللفظ
واضح في صفحة المخطوطة المطبوعة . هذا والنصي نبت في المروج من
أفضل المراعي تذكره كتب اللفسة وتتلئ به سهلنا وإذا ابيض فهو
الطريفة فاذا ضخم ويس فهو الحلي . وهو من الفصيلة النجيلية واسمه
اللاتيني aristida calaptila .

وفي الصفحة نفسها « حبرى وإد إذا نبت الزرع كله فقد حشد
يحشد » .

والصحيح أن هذا السطر يشتمل على مادتين :

١ - حبرى وإد كزيمكى وزناً

٢ - إذا نبت الزرع كله فقد حشد يحشد

جاء في « تاج العروس » أيضاً « حشد الزرع نبت كله » .

هذا وثمة معنى آخر لهذا اللفظ استعمله ابن الرومي في وصف
الروض إبان الربيع وعده باللام وهو حشد واحتشد له إذا احتفى به
واجتهد وبذل وسعه . نذكره للناسبة ، وذلك في قوله :

والروض في قطع الزبرجد والـ ياقوت تحت لآليء تؤم

طلُّ يرقرقه على ورقٍ فكانه درُّ على لم

حشد الربيع مع الربيع له ففدا يهزُّ ثابت الجم

وقد أخطأ عباس محمود العقاد في ضبطه حشد بالبناء للمجهول في

كتابه « ابن الرومي » .

وفي الصفحة (١٤١) « يقال للنخلة إنها لواسة الحجر إذا كانت

كثيرة العذوق ، نبيلة الجذع » والصحيح لواسة الحجر .

وفي الصفحة نفسها « الحثمة والحثنة منعباً الماء عند السد »
والصحيح مشعب الماء .
وفي الصفحة نفسها خطأ مطبعي وهو « حصين بن وهب »
والصحيح حصين بن وهب .
نحن ننظر إلى المجلة على أنها مدرسة . والكتاب فيها كالاتذة أوهم
في الواقع أساتذة .

(٣)

ولما كان البحث في شوارد اللفة جاز التعليق على بعض الشوارد بما
يوازيه أو يرادفه من متعارف اللفة . جاء في الصفحة (١٤٠) « يوم
أحبي : شديد . قال منظور : وكان يوم الورد أحبي أقوسا » .
ونجد في مادة قوس من المحيط أن « الأقوس المشرف من الرمل
والصعب من الأزمنة ... ومن البلاد البعيد ومن الأيام الطويل » .
ويزيد الزبيدي في تاجه : « وهو مجاز قال بعض الرجاز :

إني إذا وجه الشريب نكسا
وأض يوم الورد أجنا أقوسا
أوصي بأولى إبلي أن تحبسا

فالوارد في كتب اللفة أجنا مخفف أجنا بالهمز ويكتب اللفظ أيضاً
أجني بالألف المقصورة .

وجاء في لسان العرب (مادة قوس) : « والأجني الأقوس الممارس
الداهية من الرجال . يقال : انه لأجني أقوس إذا كان كذلك . وبعضهم
يقول : أحوي أقوس . يريدون بالأحوي الألوى . وحويت ولويت
واحد » .

ويقال رماه الله بأحوى ألوى أي بأعظم الدواهي .
 وورد في أساس البلاغة مادة قوس « رماه الله بأحوى أقوس : بأمر
 صعب ، وهو الدهر لأنه شاب أبداً كالشاب الأحوى ، وهو هرم لتقدمه
 كالشيخ الأقوس » .

كذلك يحسن مقارنة سهم حابٍ إذا وقع حول القرطاس ولا يقرطس
 (ص ١٤٠) بسهم حابٍ من المعتل بالمعنى نفسه والجمع حوابٍ فالحابي من
 السهام ما يزحف إلى الهدف إذا رُميَ به ، أو هو الذي يقع دون الهدف ثم
 يزحف إليه على الأرض . وقد حبا يحبو . وإن أصاب الرقعة فهو خازق
 وخاسق ، فإذا أصاب الرمية وخرجت شبة حده منها فهو صارداً^(٨)
 (وجمعه صوارد كما جاء وصفاً للنقم في مستهل كتاب الشوارد) ، فان
 جاوز الهدف ووقع خلفه فهو زاهق ، فان عدل عن الهدف يميناً أو شمالاً
 فهو صائف ، فان وقع بين يدي الرامي فهو حابض .
 إن تعليقنا كان يمكن لأمانة المجلة أن تقوم به مع شيء نزر من الجهد
 حرصاً على مكانة المجلة ، لسان حال المجمع ، أول المجامع العربية .

(٨) سهم صارداً أيضاً مخطىء فهو ضد .